في التحليل النفسي :

تخاف من العرائس

للدكتور أحمد فؤاد الأهواني

قالت إنها تخاف من العرائس ، فتبادر إلى ذهني أنها تخاف من الفتيات في سن الزواج وقد أعلنت خطوبتهن وأصبحت الواحدة منهن « عروسة » كما هو الاصطلاح في تعبير العامة . وأيد هذا الظن أن السائلة فتاة حول العشرين من عمرها . فقلت لها ولماذا تخافين من العرائس ، هل ترهبين الزواج ولا تريدينه ؟ قالت لا ، ليس الأمر كذلك ، إني أعني تلك العرائس التي يصنعها الناس للزينة أو التسلية ، ويتخذها الأطفال أداة للهو واللعب والعبث ، ثم نطقت بالفرنسية « بوبيه » Poupée .

ورأيت أن الأمر ليس سهلا كما تصورت في أول الأمر ، فطلبت منها زيادة الإيضاح والبيان .

هذا وأنا آخذ حالة الفتاة مأخذ الجد ، فهذا أول شرط في التحليل النفساني .

قالت : إني أخجل من نفسي خجلا شديداً ، ولا أحب أن أفضي لأحد بأمري حتى لا يهزأ بي ، فأنا أعلم أن العرائس لا ضرر منها ، وهي لا تؤذي ، ولا تملك نفعا ولا ضراً ؛ ثم إني قد بلغت من السن ما لا ينبغي أن ينزل بقلبي الخوف من مثل هذه الأشياء التي لا تليق إلا بالصغار من الأطفال . وبلغت من الثقافة ما أعلم معه علم اليقين أننا نحن الذين نصنع هذه العرائس بأيدينا ، فكيف نخاف منها .

وكانت حقاً على درجة من الثقافة ، فقد تلقت العلم في مدارس فرنسية ، وهي تشتغل الآن مدرسة في مدرسة ابتدائية .

واستطردت قائلة : فأنت ترى أن هذه الحالة تسبب لي متاعب كثيرة ، وترهقني من أمري عسرا . فأنا لا أطيق أن أرى « عروسة » واضطرب اضطرابا شديداً إذا دخلت حجرة فوجدت فيها شيئاً من ذلك فأخرج منها . ولهذا السبب رفع أهلي من البيت كل عروسة ، وكل تمثال للزينة ، لأنني أخاف كذلك من التماثيل . وإذا علمت أن صديقة من صديقاتي تحتفظ في بيتها بعرائس أو تماثيل ، أبيت أن أزورها ، دون أن أبدي السبب الحقيقي لأنه مضحك حقاً .

ثم إني لا آمن إذا دخلت بيتاً ، وجلست في غرفة تخلو من العرائس ، أن يدخل علينا طفل يلهو بعروسة في يده ، وعندئذ يحدث لي هذا الخوف الذي يبلغ حد الفزع ، فأستأذن في الحال وأنصرف ، وأنا في موقف شديد الحرج بالنسبة إلى نفسي وبالنسبة إلى صديقتي .

ثم تصور أن لي أختا تكبرني سنا ، وهي متزوجة وذات أطفال ، وقد حرمت على نفسها شراء العرائس لأبنائها حتى تيسر زيارتها ، وتستقبلني في دارها . فانظر مبلغ العنت الذي كنت سببه ...

قلت لها لعل هذه العرائس قبيحة المنظر ، مخيف حقاً ، فمن لذلك تبعث الرعب .

قالت : الغريب أن العروسة كلما زادت جمالا ، ازددت خوفا

فالتقطت منها هذه الكلمة ، أعني « العروسة الجميلة » وقلت في بالي هذا مفتاح أعلم منه سر نفسها . ثم ذهبت ألاحقها بالسؤال عن ذكريات الماضي وعهد الطفولة ، إذ كانت العقدة النفسية تتكون في الصغر بل الصبا المبكر .

قالت إنها لا تذكر متى بدأ خوفها من العرائس ، ولكن أهلها يقولون إنها وهي طفلة صغيرة جداً تخاف منها . وأقدم ذكرياتها التي تعيها ، أنهم كانوا يضعون تمثالا من الجبس هيئة امرأة ذات ملاءة سوداء فوق الشباك بالقرب من سريرها ، وكانت رؤية هذا التمثال تفزعها وتبعث في خيالها أشنع الأوهام .

وهذا كله معقول ، فالطفل الصغير قاصر الإدراك ، وقد يكون أصل هذا الخوف وميعثه إيحاء بعض أخوات هذه الفتاة وقولهن ما يثير الخوف ، فصدقتهم ، واستمرأوا هذا العمل ومضوا فيه وأصبحت الفتاة الصغيرة ترهب هذه العرائس وترتعش أو ترى

لأن التسوية بينهما في الحرمة يأباها العقل .

وسيجد الأستاذ إبراهيم بدوي بعد هذا أنه لم يكن له أن يقول في عنوانه (هل تملك تحريم تعدد الزوجات) لأنا نملك هذا من غير نزاع ، ونزاعه مع الباشا في أن تعدد الزوجات حلال أو حرام ، وهذا له عنوان غير ذلك العنوان ، والحق أردت ، وما توفيق إلا بالله عليه توكلت .

عبد المتعال الصعيدي

عند رؤيتها . وثبت فى نفسها هذا الخوف مع الزمن وأصبح كما يقولون « عقدة نفسية » .

ولكن حل العقدة يكون بمعرفتها ، واستخراجها من باطن النفس وأغوار الماضى فيبرح عنها الخفاء . وقد علمت صاحبتنا بأمر هذه العقدة ، وعلمت أن ليس فى العرائس ضرر ، فما هو السر إذن ؟

فانصرفت إلى البحث عن هذه « العروسة الجميلة » التى تخاف منها ، التمس فى الجمال علة الاضطراب .

وكان من الواضح أن السائلة غير جميلة .

وشرعت أسألها عن أخواتها وعن علاقتها بهن ، ولها أختان شقيقتان إحداهما تكبرها بثمانية أعوام والثانية بعامين . الكبرى متزوجة وصاحبة أبناء ، والصغرى لم تتزوج بعد .

وتبين من نبرات صوتها عند الجواب أن بينها وبين أختها الثانية أشياء . فهى أجمل منها ، وأكثر منها حظاً فى التعليم ، وتشغل منصبا أفضل منها .

وألححت فى السؤال ، فقالت إنها تحترم أهلها وأخوتها وقد رباها أبوها تربية صالحة ، وعلمها أن تقف من أخوتها موقف المحبة والاحترام .

ولكن الغيرة لا تعرف التقاليد والحدود الاجتماعية . والواقع أن الغيرة الشديدة قامت بين صاحبتنا وبين شقيقتها منذ الصغر فهى أجمل منها ، وأحسن منها فى التعليم حظاً ، وأرقى من حيث المنزلة الاجتماعية : فضلا عن الغيرة الطبيعية التى تنشأ بين الأختين إذا كانتا متقاربتين فى السن .

إذن فهى فى صراع بين الواجب والواقع ، بين واجبها نحو أختها وأهلها ، وبين طبيعة نفسها التى تحدثها بالغيرة .

ولكن ما شأن أختها بالخوف من العرائس ؟

لقد حدث عندها ما يعرف فى علم النفس باسم « التحويل » Transference ، فقد حولت خوفها من العرائس وهى الذى التى يلعب بها ، إلى أختها لما بين الاثنين من مشابهة فى معنى « العروسة » . والعروسة عند العامة هى الفتاة المخطوبة إلى عريس فالأخت عروسة بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة . وأكبر الظن أن الشخص الذى كان يخيفها فى الصغر ، أى وهى فى سن الثانية من عمرها ، هى هذه الأخت .

وإذن فقد تعقدت العقدة ، وتحولت من مجرد الخوف من العرائس المصنوعة للهو ، إلى الخوف من « العروسة الجميلة » وهذا سر قولها إن العروسة كلما كانت جميلة ، كان خوفها أشد . وكأن أختها أصبحت رمزاً حولت إليه خوفها ، وغيرتها ، وبغضها . .

ويؤيد هذا كله ، ما ذكرته من أنها لا ترغب فى الزواج ، وتمانع فيه ، أو على الأقل كانت تمانع إلى عهد قريب .

ويؤيد ذلك أيضاً أنها تخشى الأطفال الحديثى الولادة ، أى الذين فى سن الرضاعة . قالت إنها ذهبت عند أختها الكبرى ، وهى متزوجة وذات أطفال ، وعرض لأختها أمر يقتضى أن تخرج من الغرفة على عجل ، فأعطت ابنها الرضيع إلى صاحبتنا ، والتمست منها أن تهدىء من روعه إلى أن تعود . وحملت الفتاة الطفل بين يديها وهى ترتجف من شدة الخوف ، وكادت تلقى به إلى الأرض .

ونصحها أحد الناس بأن تصنع عروسة من قماش لعل ذلك يجعلها تألف بطريقة عملية هذه العرائس فلا تعود ترهبها . وفعلت ذلك ، فقصت القماش ، ووضعت داخله القطن ، حتى إذا أوشكت العروسة أن تكتمل ، وصورت رأسها ، لم تستطع أن تمضى فى صنعها إلى النهاية ، وبرز الخوف فى نفسها .

ليس العلاج عسيراً ، فإذا عرف السبب بطلت آثار الاضطراب ؛ والمهم أن يقتنع المريض بصحة الأسباب ، وأن يعمل على علاجها .

أما عن السبب الأول وهو الخوف من العرائس الذى كان يقع فى الصغر ، وصحبها إلى الكبر ، فيرجع إلى الوهم والتهويل ، وقد عرفت أن هذا الوهم باطل ، ولا ينبغى التهويل فيه .

أما عن السبب الثانى وهو الغيرة من أختها ، فقد وجدت بعض المشقة فى ترويض نفسها على محبتها المحبة الأخوية الصادقة ذلك أن القضاء على الأحوال النفسية التى ثبتت فى النفس مع طول الزمن من أشق الأمور ، مثلنا فى ذلك مثل من يعتاد التدخين أو لعب الميسر أو شرب الخمر ، لا يسهل عليه أن يقطع عادته التى ألفها بين يوم وليلة .

وقد رسمنا لها الطريق المؤدى إلى كبح جماح الغيرة ، وفى القضاء على الغيرة من أختها على وجه الخصوص القضاء على خوفها الموهوم من العرائس .

أحمد فؤاد الأهوانى